إقامة الدليل على أن اللام حرف شمسي أصيل

د. وليد بن حامد بن عبد الفتاح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إقامة الدَّليل على أن اللَّامَ حَرفٌ شمسِيٌّ أصيل

ادَّعى البعضُ أنَّ حرفَ اللام حرفٌ قمريٌّ يُلحق بحروف (ابْغِ حَجَّكَ وَخَفْ عَقِيمَهُ)، وحجَّتُهم في ذلك أن الكلماتِ المعرفة بـــ(ال) والتي تبدأ باللام نحو: (اللَّيل، واللَّحم، واللَّبن) وغيرَها تظهرُ فيها اللام نطقًا، فأعدُّوها بذلك لامًا قمريَّةً، وهو مردودٌ من محورين:

المحور الأول: الإظهار والإدغام.

الذي يُمعن النظر في أحرف اللام القمرية التي تظهرُ معها لامُ (ال) يجد أنَّ تلك الأحرف قد جمعَها وصفٌ واحدٌ، وهو البُعد عن مخرج اللام، فبُعدُ المخرجِ سبب أصيل للإظهار اتفق عليه علماء الأصوات وأئمة التجويد والقراءات، فاللَّام تخرج من أدنى حافَّةِ اللِّسان إلى منتهَاها، بينما تتفرَّق حروفُ اللام القمريةِ بعيدًا عن حافَّة اللسان وطرفِه، وتوزعت مخارج هذه الحروف ما بين منطقة الحلق ووسط اللسان والشفتين، وعلى العكس من ذلك نجد أن الحروف الشمسية التي تختفي معها لامُ (ال) نطقًا كلها قريبة من مخرج اللام، وهو السبب الرئيس في حدوث الإدغام الذي أدى إلى اختفاء اللام تماما، وهو من قبيل إدغام المتقاربين، حيث عرَّف العلماء الإدغام الصغير بأنه إدخال حرف ساكن في آخر متحرك ليصيرا حرفًا واحدًا مشدَّدًا، وهو الحرف الثاني. وجميع الحروف الشَّمسية تخرج من طرف اللسان وحافَّتَيْه انفرادًا أو اشتراكا باستثناء حرف الشين من وسطه لما له من صفة مخصوصة وهي التفشي الذي جعل صعوبة في الفصل الصوتي عند مجاورة اللام نطقا، وحرف اللام لم يقترب من مخرج اللام فحسب بل هو نفسه مما يحتِّم ضرورة الإدغام، وهو ما يعرف بإدغام المثلين الصغير الذي تختفي بموجبه اللام الأولى اتفاقا، وتنطق اللام الثانية مشددة نحو: اللَّبنُ، واللَّحْمُ، كما حدث مع السين في كلمة (السَّماء) والطاء في كلمة (الطَّالب) فالذي ينطقه اللسان في كلمة (اللَّبن) هو حرف اللام الثانية بموجب الإدغام كما في قوله تعالى: (بل لَّا تكرمون اليتيم). فكيف يكون اللام حرفًا قمريًا وقد اتَّحد مخرجًا وصفةً مع لام (ال)، فهما مثلان؟

المحور الثاني: محور التحليل الصوتي.

التحليل المعتمد لكلمات اللام الشمسية يكون على النحو الآتي:

الشَّمْسُ	الشْـــ	ـــشَمْـــ	ـــسُ	ـــــــ
الرَّجُلُ	الرْ	ـــرَ	ـــجُـــ	ـــلُ
السَّماء	السْـــ	ـــسَـــ	ـــمَا	ءُ

مراعين عند كتابة التحليل ما آلت إليه قاعدة اللام الشمسية من أن اللام تكتب ولا تنطق، لأننا لسنا بصدد كتابة عروضية، أو صوتية مجردة، ولكن بصدد تحليل صوتي يتوافق والرسم الإملائي القياسي.

وفي الكلمات: (اللَّـــيْلُ ، اللَّـــحْمُ ، اللَّعِـــبُ) وهي كلمات مبدوءة بحرف اللام قبل دخول (ال) عليها قد كُتبت جميعها بلامين قياسًا عند النسَّاخين الأوائل ومن تبعهم إلى يومنا هذا، فإن التحليل يكون هكذا:

اللَّـــيْلُ	اللْـــ	ـــلَيْـــ	ـــلُ	ـــــ
اللَّـــحْمُ	اللْـــ	ـــلَحْـــ	ـــمُ	ـــــ
اللَّعِـــبُ	اللْـــ	ـــلَـــ	ـــعِـــ	ـــبُ

وهي نفس طريقة تحليل اللام الشَّمسية، ولا يصح تحليلها بهذه الطريقة المشهورة:

اللَّـــيْلُ	الْـــ	ـــلَيْـــ	ـــلُ	ـــــ
اللَّـــحْمُ	الْـــ	ـــلَحْـــ	ـــمُ	ـــــ
اللَّعِـــبُ	الْـــ	ـــلَـــ	ـــعِـــ	ـــبُ

لأن ذلك يؤول بكتابتها إلى أحد أمرين:

الأول: (الْلَيلُ)، وهو غير موجود عند أئمة الضبط، وينافي قواعد ضبط إدغام المثلين من تعرية الأول وتشديد الثاني.

الثاني: (الَّيلُ) وهو غير معمول به في الإملاء القياسي فيما ورد من موروث مكتوب، ولم يقل به أحد من علماء اللغة.

وأختم بتتمة في غاية الأهميَّة، وهي أن الأحكام دائمًا تُبنى على مَا آلت إليه الظَّواهرُ اللُّغوية. فإذا أقرَرْنا أن هناك تشديدًا وإدغامًا حدَث في نحو: (اللَّيل، واللَّحم، واللَّبن) ومثيلاتها، فلا بدَّ أن نُسلِّمَ بما آل إليه هذا الإدغام من اختفاء الحرفِ الأول تمامًا، (وهو ما يُعرف عند القراء بالإدْخال) والنطق بالثاني مشدَّدًا؛ لأن الإدغام هنا إدغامٌ كاملٌ، وليس إدغامًا ناقصًا، وعليه تكون لام: (ال) قد اختفت تمامًا، وما ينطقه المتكلِّم لامًا مشدَّدةً هي لام الكلمة وليست لام (ال). حتى وإن وقف برهة على لام (ال) من (اللَّيل) ثم أكمل (لَيلُ) مدَّعيًا بذلك أن لام (ال) ها قد ظهرت ساكنة، نقول له يلزمك لهذا أن تفصل بين اللامين صوتيا لتردَّ ظاهرة إدغام المثلين الصغير، وتضع السكون فوق الأولى وتكتب الثانية مفتوحة هكذا: (الْلَيل)، وهو ما لم يقلْ به أحدٌ، ولو استطاع الثانية اجتهادًا لما استطاع الأولى اتفاقًا. ولو وقف نفس وقفته تلك في كلمة (الشَّمْس) لنطق بالشين ساكنة ثم نطق بها مفتوحة، ولا يستطيع أن يأتي باللام ساكنة مما يدلِّلُ على أن منطوقَه في (اللَّيل) هو لامُ الكلمةِ وليس لامَ (ال).

وكتبه

د. وليد بن حامد بن عبد الفتاح

١٦/ ٧/ ١٤٤١هـ